المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله الذي قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن..»[1].

أختي الحبيبة:

في الألوان تجدين الأبيض والأسود، وهناك الرمادي مزيج منهما.. كذا في عالم الإنسان، تجدين ألواناً من الأخلاق كثيرة، قد تضطرين للاحتكاك بأصحابها لظروف لازمة (أقارب، جيران، زميلات دراسة أو عمل، سكن مشترك..).

فهنيئاً لك إن خالطت صاحبات الألوان الأخلاقية المشرقة، وتقبلي تعازينا إن كان نصيبك صاحبات الألوان المظلمة.. فنحن نشعر بك، ونعلم أن معاناتك كبيرة، وسنحاول أن نساعدك في هذا الكتاب..

إن صاحبات الألوان الأخلاقية القاتمة لا يشعرن بأنفسهن عادة، ولا بالأذى الذي يسببنه لأخواتهن المسلمات، فيحتجن لمن يوقظهن حتى لا يكثر سوادهن في المجتمع فتكثر معاناة الآخرين منهن لا سيما المقربون لهن..

---

(١) الترمذي (٤/٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح.

obeikandl.com

لماذا لا يشعر الإنسان بأن لونه الأخلاقي بغيض؟

ربما لأنه نشأ في بيت الأخلاق السيئة عندهم أمر عادي..

كأن تكون الأم والأب والإخوة أو بعضهم يمارسون الظلم، الكذب، البذاءة، التجسس في حياتهم اليومية.!

مثال:

كأن تطلب الأم من ابنتها أن تتجسس على شخص ما ثم تخبرها بما حدث..

كذا تأمرها بأن تكذب في مواقف كثيرة..

أو تعلمها الجدل بالباطل وتأمرها أن تفعله مع الآخرين عندما تخطئ عليهم حتى لا تكون ضعيفة – كما تزعم – بل تريدها (متجبرة ظالمة) لا قوية بالحق، فالقوة عند بعض الناس هي أن لا تعترف بخطئك، وأن تأخذ ما ليس لك..!

ولو أن فتاة نشأت في مثل هذا البيت فستتأثر بأخلاق أهلها بالتربية والمخالطة، وفي الغالب لن تشعر بأنها ارتكبت خطأ ما، لأن أهلها يرتكبون نفس الخطأ وليس هناك من ينكر.. فتكبر الفتاة وتكبر معها هذه الصفات، وهي لا تشعر بالخطر الذي ينمو معها ليهدد مصيرها في الدنيا والآخرة.. فهي تحتاج لمن يقول لها: توقفي إن ما تفعلينه (خطأ عظيم) وإن وجدت أهلك عليه..

لن يدخل أحدهم قبرك معك.. ولن يعطيك حسنة واحدة.. ولن يحمل عنك سيئة واحدة.. فلماذا الموافقة على الباطل؟..

إن بر والديك وموافقة إخوتك لا تكون بإهلاك نفسك وسوقها إلى النار..!

فلا تتبعي أحداً على الباطل مهما كانت علاقتك به قوية جداً..

قال الله تعالى: ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾ [١] (خص الله هؤلاء بالذكر لأنهم أخص القرابة ، وأولاهم بالحنو والرأفة ، فالفرار منهم لايكون إلا لهول عظيم ، وخطب فظيع ، ولعلم الانسان أنهم لاينفعونه ولا يغنون عنه شيئاً) [٢].

أخيتي:

لا تستغربي إن قلت لك: هناك من ترفض الجنة..!

حسناً.. ما رأيك فيمن تقضي عمرها مصرة على الأخلاق السيئة ولا ترغب في تطوير نفسها وتعديل سلوكها..

أليس واقع حالها يدل على رفضها للجنة وإن لم تقل ذلك بلسانها..؟

أليست الأخلاق السيئة مجموعة من المعاصي الكبيرة والصغيرة..؟

قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» [٣] .

ربما تقع المرأة في الصفات الملونة بالسواد لأنها لا تعرف عاقبتها ولا تدرك جرمها.. وأنها في الحقيقة توزع حسناتها وأعمالها الصالحة على الناس..

فصلاتها، وصيامها، وعمرتها، وحجها، وبرها بوالديها، وصدقاتها، يأخذها الآخرون وهي لا تدري..

فهي تؤذيهم في الدنيا بتعاملها السيء وفي الآخرة تدفع لهم ثمن هذا الأذى..!

وهذا ما يفسر لنا وجود بعض الأخوات الطيبات، العابدات، الصائمات، المنفقات، يقعن في التجسس والكذب والمكر ونحوه..!

حقاً.. إنها خسارة كبيرة أن تكدحي في الدنيا بطاعة ربك وتمتنعي من لذات كثيرة لوجه الله ثم يأخذ ثوابها غيرك..

.....

(١) عبس : ٣٤-٣٧.

(٢) فتح القدير: (٥/٥٠٥) بتصرف واختصار.

(٣) البخاري- الفتح ١٣ (٧٢٨٠)

obeikandi.com

هذه مصيبة والله..!

وتزداد المأساة إن كانت المرأة كبيرة في السن قد قضت حياتها في إيذاء الناس بأخلاقها وتعاملها السيء.

سُئل رسول الله ﷺ: أيُ الناس خير؟ قال:«من طال عمره وحسن عمله» وسُئل عن:أي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» [١].

فإذا وجدت من يخبرك بصفة سيئة موجودة فيكِ فاستفيدي منه واشكريه..

ولكن الناس في الغالب لن يخبروك بذلك، فاقرئي أنت هذا الكتاب ولا حظي نفسك..

(١) الترمذي (٢٣٣٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

obeikandl.com

هذا الكتاب لكِ..

١- ليعينك أن يكمل إيمانك، وأن تجدي عملك الصالح محفوظاً يوم القيامة لم يأخذه فلان وفلانة.

فإن كانت فيك إحدى الصفات التي سأذكرها فتخلصي منها سريعاً، وإن لم تكن فيك فاحمديه سبحانه واسأليه الثبات والعافية..

ثم انظري حولك: أمك، ابنتك، أختك، قريباتك، صاحباتك، هل فيهن هذه الصفات أو واحدة منها..؟

خذي بأيديهن وادعي لهن في ظهر الغيب.. فلا يكفي أن تكوني صالحة، بل كوني صالحة مصلحة..

٢- للأذى الظاهر من صاحبات الأخلاق المتلونة بالسواد مما يترتب عليه مفاسد اجتماعية ودينية: كقطيعة الرحم، فقدان الصداقات والعلاقات، أو تشوشها في أحسن الأحوال، يسببن أمراض عضوية أو نفسية للأشخاص الذين يحتكون بهم مباشرة وباستمرار، يلحقن الضرر بأنفسهن وبآخرتهن، وبمن يقمن بتربيته أو توجيهه.

٣- تخفيفاً لمعاناة كل من ابتليت بعلاقة إجبارية مع من يحملن ألواناً خُلقية قاتمة فلا يمكنها الفكاك أو الابتعاد فهي تعاني ما الله به عليم.

ونبشرها بقول رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» [١].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد

obeikandi.com

٤- لعظم جُرم إيذاء المسلمين والمسلمات..

قال الله تعالى: ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ [١].

٥- لمساعدة من تلونت بالأخلاق السيئة على سرعة التخلص منها بعد أن تعرف خطورتها.

٦- لبعض الرجال نصيب أيضاً من الألوان الباهتة أتمنى أن يكون هذا الكتاب معيناً لهم على التغيير للأفضل.

أخيراً..

أقدم تقديري واحترامي، لكل النساء الفاضلات..اللاتي يشعرننا بروعتهن وعظمة أخلاقهن.. وهذا يحفزنا لنرتقي بأخلاقنا لعلنا نبلغ منازلهن..

قال الماوردي - رحمة الله -: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل مُعَادُوهُ،فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب».

هناء الصنيع - الرياض ١٤٢٨هـ

Hana_s3@hotmail.com

(١) الأحزاب : ٥٨.

obeikandl.com